محمد عابد الجابري :

مسار كاتب

م . بنيس : هذا الحوار مع الأستاذ الجابري نريد له أن يتمحور حول مسار كاتب مفكر ، ملتزم بقضاياه السياسية ، مساهم في مرحلة تاريخية ، وطنية وعربية . ولكن مسار كاتب بهذا المفهوم نريد له أن يعود إلى البدايات ، أن يقترب قليلاً من الحالات الصامتة في مسار كاتبنا المغربي والعربي عموماً .

ولهذا سيكون اللقاء عكس ما يمكن أن يُتخيَّل ، كأنه خطاب مفكر حول الفكر ، ولكنه خطاب مفكر حول ذاته ، وتكوُّنه . ونبدأ هنا حول التكوين . ما هي العناصر التي يراها الأستاذ الجابري أساسية في تكوينه أجتماعياً ، لغوياً ، ثقافياً ، سواء في مرحلة الصبا أو في المراحل التي تلتها عبر اتصاله بالمشرق ودراسته بدمشق ، أو عبر علاقته بالغرب ، علاقة حوار مفكر مع الثقافة الأروبية الحديثة ؟

الجابري : الحقيقة أنك تطلب مني شيئاً من الصعب التعبير عنه في جمل أو كلمات ، أو حتى في صفحات . فأن نطلب من مفكر ، إذا صح هذا الوصف ، أن يتحدث عن نفسه ، كذات ، فهذا شيء يتناقض مع صبغة المفكر نفسه . فالمفكر هو عادة عندما يفكر في ذاته يفكر فيها من خلال العالم الذي عاش فيه ، من خلال التاريخ ، من خلال المجتمع ، من خلال الطموحات ، من خلال الآمال ، وأيضاً من خلال الإخفاقات والمآسي . إذا فالتأريخُ للذات هنا سيكون دون شك تأريخاً للفترة التاريخية كلها . وإذا أضفنا أن الأمر يتعلق بمفكر ، فإذا المسألة في نهاية الأمر هي التفكير . إنك تطلب من هذا المفكر أن يفكر من جديد في هذا المجتمع ، أن يقرأهُ قراءة أخرى ، لن تكون بالضرورة قراءة مرآوية .

أرجع بذاكرتي إلى صباي ، إلى طفولتي . وأستعيد صورة العائلة ، والوسط الاجتماعي ، والمستوى الحضاري الذي عشته . أشعر بفارق كبير ، بقفزة كبيرة . فأنا من أولئك الأطفال الذين عاشوا في البادية ، وبالضبط في التخوم الصحراوية ، والذين كانت الحياة تفرض عليهم وعلى عائلاتهم أن يحتطبوا الحطب ، ويرعوا الأغنام ، ويساهموا في غرس البستان الصغير ، وفي القيام بأعمال من هذا النوع في مجتمع كان يعيش اكتفاء ذاتياً : نخيلات وتمر وحبوب والنقود لا تسري إلا بكيفية ضئيلة جداً . إذاً اذا انتقلنا من هذه الحالة ، بالصورة الموجزة ، إلى الواقع الذي نعيشه الآن ، فأنت تصفني كمفكر ، تصفني كشيء له دلالة ،

يعني أن هناك تحولاً وقفزة كبيرة نعيشها في المجتمع المغربي .

ولدت سنة ١٩٣٦ ، وأنا الآن في السابعة والأربعين.فإذا قرأت هذه التحولات من خلال ما عشته أنا ، فيمكن أن أركز على جانب واحد **وهو عملية إنتقال السلطة في المجتمع المغربي** . إذا هذا الصبي ، الطفل الصغير ، الذي رعى الغنم ، واحتطب وكانت لغته هي الأمازيغية الخ . . أصبح الآن أستاذاً جامعيًّا وربما أصبح أيضاً مسؤولاً في هيئات سياسية ، ربما يصبح وزيراً . وهناك وزراء وهناك مثقفون . اذاً هناك إنتقال ، ذلك يعني ، **نحن الآن ، كمثقفين** ، أو البعض هنا ، **أننا نملك سلطة لم يكن يملكها** آباؤنا . عائلتي أنا لم تكن عائلة عِلْم ، لم تكن تملك التجارة ولا حتى الفلاحة ،في سنة ١٩٣٦ ، فيما يبدو ، كان المجتمع المغربي لا يزال مجتمعاً قروسطياً ، أي هناك تخصصات . أذكر كانت هناك عائلات تتوارث العلم ؛ عائلات تتوارث الاقتصاد والتجارة ؛ عائلات تتوارث الفلاحة . وقد يصبح ابن الفلاح اليوم عالماً في الذرة ، وابن الخباز قد يصبح أستاذاً جامعياً ، يعني هناك تحول ، **وهو انتقال السلطة من فئات مجتمعية معينة محصورة إلى عموم الشعب . فهذا التحول في نظري هو الذي يجب أن يلفت انتباهنا ويسترعي كثيراً من المؤرخين** . في العام ١٩٣٦ ، أو في العام ١٩٤٤ ، عندما بدأت أعي شيئاً ما حولي، ولما أرجع بذاكرتي إلى هذه الفترة ، فترة العشر سنوات وأقارنها مع ما أرى الآن ، فأنا أمام فارق كبير جداً . ولـذلـك ، في تحليلي للمجتمـع وللمستقبل وللأزمات الراهنة ، تُمثل هذه الصورة أمامي، ولا أتشـاءم، بل أتفـاءل. فالمسـألة مسألة تاريخية ، إذ قطعنا أشواطاً بعيدة جداً ، وهذه الظاهرة مهمة في المغرب ، وهي ظاهرة انتقال السلطة . كان الأعيان في المدن يستأثرون بالعلم ، ثم أصبح العلم في متناول الجميع على التقريب . والآن لم يعد ضرورياً أن يكون المهندس من ذوي فلان ، والتاجر من نسب علاّن **بل أصبح المجتمع المغربي ، بكيفية عامة ، مجتمعاً مدنياً ، أو ينحو هذا المنحى** . ضمن هذا التطور ، كيف تريد مني أن أتحدث عن ذاتي أنا كشخص دون أن أراني ذرة من ذرات تحول كبير واسع .

إذن هذه ملاحظة أولى في الاطار السياسي ، تبقى بعد ذلك المسائل الشخصية ، وهي ترجع إلى ظروف تاريخية . في البداية الحقني أهلي بمدرسة حكومية رسمية فرنسية ، في حوالى الأربعينات ، قضيت شهـوراً في القسم التحضـيري الفـرنسي ، ثم أُخـرجت ، أخـرجني جدي ، بدعـوى أن هذه مدرسةُ الفرنسيين . مدرسة الكفار . ونحن وطنيون يجب علينا أن نحارب . هذه مسألة داخلة في إطار الظاهرة العامة التي كانت في المغرب ، ظاهرة محاربة المدارس الفرنسية . فأُدخلت الكتاب أولا ، ثم بعد ذلك افتُتحت مدرسة حرة وطنية في البلد ، فالتحقت بها ، ومن هناك تخرجت بالشهادة الابتدائية . بعد ذلك قضيت سنة أولى في وجدة ، ثم سنة ثانية ثانوية في الدار البيضاء . ووقعت الأزمة . خلع محمد الخامس ونُفي ، وأُقفلت المدارس الوطنية . فاضطُررت لأن أشتغل خياطاً كي أعيش مدة من الزمن . وبعد فترة سنة أو سنتين ، وقعت في أزمة اختيار بين أن أتمم دراستي أو أن أمارس المهنة ، فاخترت الدراسة . وفي هذه الفترة كنت أقرأ ما أجده . قرأت خالد محمد خالد ، سلامة موسى ، كرم محمد كرم ، كنا قرأنا شيئاً من الألفية ، ومن مختصر الخليل . إضافة إلى ما نقرأه في المدارس الوطنية التي كانت تزودنا بنماذج من الثقـافـة العـربية الاسلامية المختلطة ، ومن الثقافة العصرية ، ثم هناك حادثة بسيطة في سنة ١٩٥٣ سأسردها : كنت في السنة الثالثة من الثانوي ، وقد التحق بعض زملائي بليسيه « ثانوية الدار البيضاء » (الآن محله هو ثانوية فاطمة الزهراء) بالسنة الثالثة ثانوي ، وكانت الدروس معرّبة ، وكنت يومها ذا ثقافة فرنسية ، ولكن كان بإمكـاني أن أتـابع الدروس . فطلبت من مدير المدرسة ـ وكان فرنسيا ـ الالتحاق

فوعدني ، ثم ماطل في الأمر ، وأخيراً قال لي : إن مجلس الأساتذة رفض . وعندما سألت أحد التلاميذ الذين كانوا معي ، قال لي : أذهب بديكين كبيرين إلى منزل المدير ، وسيقبلك كما قبل الآخرين . وقعت في أزمة ، ما بين أن أقدم رشوة وما بين ألا أفعل ، فلم أفعل ، وبقيت أدرس مستقلاً . أعمل وأدرس ، ثم التحقت بالتعليم الابتدائي ، فنلت الكفاءة ، ثم الشهادة الثانوية ثم الباكالوريا ، دون الالتحاق بمدرسة . وهنا حادثة لا بد من ذكرها . عندما أعطيت لنا نتائج الباكالوريا ، كان رئيس اللجنة هو المهدي ابن بركة . كنت تقدمت كطالب حر للباكالوريا الحرة ، وكانت في سنتها الثانية في المغرب ، سنة ١٩٥٧ . لم أكن أعرف المهدي بطبيعة الحال . عندما أعطونا النتائج ، وكنت السادس أو شيئاً من هذا القبيل ، فوجئت به يناديني : فلان تعال . ففوجئت . قال : أين تشتغل الآن ؟ قلت : في المدرسة الفلانية بالدار البيضاء ، قال لي : لا ، أنت ترجمتك هائلة جداً ، يجب أن تلتحق غداً بجريدة « العَلَم » لتشتغل معي . قلت : لا ، أنا أشتغل في التعليم . قال لي : لا ، هذه عطلة صيفية ، ومن بعد سننظر في الأمر . فالتحقت بـ « العَلَم » ، ودخلت المعترك السياسي في نهاية الأمر هذا ، وأذكر أنني قبل أن ألتحق بـ « العلم » وبحكاية الباكالوريا ، كنت أكتب باستمرار. وأذكر أني ، في يوم من الأيام ، بعثت بمقالة إلى « العَلَم » ، ونُشِرَتْ مِنْهَا فقرات في أوائل الخمسينات ، في « بريد القراء » ، فكان ذلك فرحاً عظيمًا لشاب في ذلك الوقت . وتشاء الصدف أن آتي الى « العَلَم » ، وأشرف على « بريد القراء » ، ثم على « صفحة المعلم » ، وهي خاصة بالتعليم والمعلمين. وفي السنة نفسها تقريباً ، سافرت الى سوريا ، ولكن ميولي كانت علمية . كنت رياضياً . ورغم أنني كنت أقرأ الأدب فإنني كنت أحصل دائمًا على نقطة ممتازة في الرياضيات ، وكان لدي ما يشبه الموهبة . أحيانا كان الأستاذ يملي علينا التمارين الرياضية وكنت لا أكتبها ، إنما استمع ، وعندما ينتهي أقدم له الجواب . وقد ذهبت الى سوريا على أساس أن أدرس الرياضيات (سترى كيف أن بعض المسائل الجزئية يكون له المفعول الحاسم) .

أردت التسجيل بكلية العلوم أول الأمر ، ولكن بالصدفة قلت : لآخذ الكتب التي تدرس حتى أرى هل يتوافق ما عندي مع ما عندهم . فصُدمت عندما وجدتني أمام أرقام هندية قد لا أستطيع قراءتها بسهولة ، وأنا قد اعتدت الارقام العربية العالمية الموجودة الآن ، وكذلك أمام رموز ليست هي الرموز اللاتينية نفسها. فكنت أشعر ان علي القيام بترجمة إذا أردت أن أفهم تمرينا أو أحل مشكلة رياضية أو فيزيقية . أترجم الأرقام ، أولا وأترجم الرموز ، وبعض الصّيغ ، وبعض التعاريف فكان هذا شيئاً مثبطاً تماماً لذا قلت: فلأترك الرياضيات ، ولأدرس الحقوق. اشتريت كتب الحقوق كلها ، وما زالت عندي حتى الآن كتب السنة الأولى وملازمها ، وأخذت أقرأ الشريعة ، القانون الدستوري ، القانون المدني .

في النهاية قررت ان انسحب ، وأن أترك كلية الحقوق ، فدخلت إلى كلية الآداب . قضيت السنة الأولى التحضيرية في جامعة سوريا ، على أساس أن أدرس الفلسفة في نهاية الأمر ، ولكن ، عندما عدت إلى المغرب ، ووجدت أنهم افتتحوا جامعة هناك ، لم أرَ سبباً يدفعني الى الرجوع ، فلم أعد ، وَأتممت دراستي هنا ، وعندما أتممت دراستي بطبيعة الحال كنت أعمل هنا في الصحافة ، وأذهب مرة او مرتين في الأسبوع الى الجامعة ، الى أن حصلت على الليسانس وما بعده .

م . بنيس ـ *هل نفهم من هذا أن علاقتك ، كطالب ، بالحركة الثقافية من ناحية الدرس الفلسفي في سوريا ، والمشرق عموماً ، أو من ناحية الأفكار القومية كانت هامشية في هذه المرحلة ؟*

م . الجابري - في السنة التي قضيتها في سوريا تعرفت على المجتمع ، وعلى اللهجة ، وعلى الثقافة العربية بكيفية عامة . وكانت سوريا آنئذٍ ١٩٥٧ - ١٩٥٨ تعيش أوج عزها . كنا نسميها « أثينا » . جو أثينا في عهد بريكلس ، أثينا الديمقراطية ، الصحافة ، الوحدة . كان ثمة غليان . في هذه الفترة أخذت صورة بانورامية فوتوغرافية فقط ، ولكن قبل ان أذهب الى سوريا كما قلت لك ، أي منذ أواخر الأربعينات ، ونحن نقرأ المشرق ، قرأناه من خلال خالد محمد خالد ، سلامة موسى ، جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة .

إذاً فمعرفتي بالمشرق ، وبالفكر القومي هناك ، عن طريق الكتابة ، وعن طريق الجريدة ، والصحافة والمجلة ، تمت هنا في المغرب أكثر ، لذلك فأنا لست من بين بعض الطلاب الذين كانوا متأثرين محلياً . وعندما عُدت قررت البقاء ، لأنه لم يكن هناك ما يربطني بسوريا. عرفت الصورة الكاملة ، وانتهى الأمر . المعرفة بالمشرق المعاصر كمعرفتي بالمشرق الماضي كانت عن طريق الكتابة والمكتوب .

ع . بلكبير - *من خلال هذه الصورة العامة عن تجربة الحياة يتضح ان المنابع الأساسية لتكوينكم ، هي من جهة تجربة الحياة ، التي كانت تجربة يمكن وصفها بأنها قاسية ، ولذلك فقد كانت غنية ، والمصدر الثاني ، الثقافي ، هو اعتمادكم على نفسكم في التكوين ، أي العلاقة بالكتاب بصورة رئيسية ، ولكن علاقتكم الأساسية بالانسان ، بالقدوة ، كانت ربما عن طريق الصحافة ، أولاً في « العلم » ولكن بصورة رئيسية في « التحرير » ، إذاً كان من الممكن أن تقدموا لنا صورة عن هذه التجربة في العمل الصحافي باعتباره كان مدرسة ، ربما أكثر منه مؤسسة للاعلام .*

الجابري : العمل الصحافي في المغرب لا يحمل من كلمة صحافة الا الاسم ، على الأقل يومذاك ، كان عملاً سياسياً نضالياً . أنت في الجريدة ، وعندما تخرج من الجريدة يصحبك البوليس من الوراء للمراقبة ، أو عندما تكون هناك فأنت تُراقب ، يعني أنت اخترت ميداناً تناضل فيه مواجهةً . خصوصاً في الستينات ، حينما كان النضال يتخذ هذا الشكل ، شكل المواجهة ، بطبيعة الحال لم نكن نقدِّر في الصحافة كمحررين متحمسين وشباب - كامل التقدير مفعول ما كنا نكتب وما كنا نقول . وهذا شيء لا يقوم به إلّا رجل له تجربة ، وله خبرة بالقراءات السياسية . فأنت عندما تكتب مقالة وليس في ذهنك إلا فكرة معينة ، بريئة أحياناً ، ولكن تقرأ قراءات لا تتصور ، وتأتيك أصداء من جميع الجهات وتأويلات لم تفكر فيها . عشنا هذه الصحافة ، صحافة الصراع ، الجدال ، ولست أدري كيف أصف تلك الفترة ، لأنها كانت فترة من الكثافة ، ومن الغنى ، ومن تزاحم الأحداث ، على نحو يصعب معه إطلاق اسم معين عليها . طبعاً أعتقد أن العمل في الصحافة بالنسبة لي ، لم يكن هو مصدر الكتابة لدي ، يعني لم أتعلم الكتابة في الصحافة ، بل ربما تعلمت الكتابة ، كما قلت لكم ، قبل أن أكون صحافياً ، أي أن عملي في الصحافة جاء نتيجة لما كنت أكتبه بيني وبين نفسي . وجانب السهولة في الكتابة لم يأتني من عملي في الصحافة ، بل لربما كان عملي في الصحافة مؤسساً على أن الكتابة عندي كانت عملية سهلة أو بسيطة . بطبيعة الحال ، الصحافة والسياسة بالنسبة للمثقف في نظري هي مدرسة الحياة عندما نقول : يجب أن يعيش المثقف الحياة ، يجب أن يعيش كذا ، **لا نطلب منه طبعاً ولا يجوز أن نطلب منه أن يعيش الحياة في الشارع أو أن يعيشها في المعمل . بل حياة المثقف هي ميدان النضال ، أو ميدان التكوين ، أو ميدان العضوية . وميدان عضويته في المجتمع ، في الغالب هو هذا الميدان الفكري نفسه والواجهة في هذا الميدان الفكري هي هذه الصحافة ، خصوصاً في مجتمع كمجتمعنا** . إن الاتجاه الوطني الذي كان اتجاها

معـروفاً في طموحاته وآفاقه ، والذي كان يعطي للاستقلال مضموناً اجتماعياً واقتصادياً معيناً ، والذي استمـر تقريباً الى سنة ١٩٥٩ ، وكان يتجه إلى نزع الطابع اللاوطني عن النموذج الاستعماري الموجود وتحويله إلى نموذج وطني ، دون أن يكتب عليه إسم اشتراكية ، أو غيره ، هذا الاتجاه عُدِل عنه ، ورجع المغرب الى تبني هذا النموذج ، عندما ارتفع شعار الليبرالية ، وشعار الانفتاح في المغرب ،وشعار الواقعية في سنوات ٦٣ ـ ٦٤. فتلك السنوات كانت سنوات صراع ، هل سنتابع الآمال نفسها ، والمثالية التي كانت لدينا ، نحن المقاومين ، نحن الوطنيين ، نحن الشباب ، نحن الجماهير ، أم أننا سنكون « واقعيين » فنقبل البنيات الموجودة ونُحاول أن نطور القطاع التقليدي ليلتحق بالقطاع العصري الخ ؟ . . . ولذلك فقد كان العمل الصحافي يومئذٍ في معمعة الصراع . لم تكن معركة هادئة ، ولا معركة تعيشها بحريتك أو تتصرف في وقتك ، أو تتصرف حتى في كلماتك . لا ، إنها بمعركة بالمعنى الحقيقي . كانت معركة تحوّل المغـرب من آفـاق معينة إلى آفاق أخرى ، ولذلك فالتكوين في هذا المجال بالنسبة لي ، تم طيلة هذه السنوات الأربع التي قضيتها في العمل الصحافي المكثف اليومي . كنت أبقى في الجريدة من الثامنة صباحاً الى الثانية عشرة ليلاً.كان هذا بالنسبة الّي اختزالاً للتاريخ كله ، التاريخ في العالم كله ، كما وقع ، وكما سيقع ، يعني تجارب الحياة كلها عرفتها في تلك السنوات . ومنذ ذلك الوقت أصبحت ولا زلت أزداد قناعة ، بأن المؤرخين عندما سيكتبون التاريخ ، معتمدين على الوثائق ، والجرائد ، والآثار ، فإنما هم سيسجلون وقائع حدثت في الزمن ،أما تأويلها ، وبيان حقيقتها ، وأسبابها ، فهذا لا يعرفه الى المطلعون ، والمنغمسون ، وهو شيء لا يقال ولا يُكتب . ولذلك أصبحت أرثي للمؤرخين . فكل ما يقال عن أحوال معينة دائمًا أبحث عن ما وراءه ربما تأثرت حتى في قراءاتي للتراث بشكي هذا . دائمًا أزيل هذه المعطيات السطحية التي علمتني التجربة أنها إنما تغطي شيئا آخر ، وأبحث عن هذا الشيء . طبعا ، لا أعتقد أنني أصيب الحقيقة إصابة تامة ، ولكن على كل حال لدي قناعة شخصية هي ضرورة البحث في الباطن ، دون أن يكون الإنسان باطنياً بالطبع . فالمهم هو أن نبحث عن الصياغة العقلانية لهذا الباطن ، حتى لا نعطيه صيغة لاعقلانية ، ونذهب مع الباطنية في متاهتها .

ع . بلكبير : *ربما تكون هناك صيغة أخرى لتأريخ تلك المرحلة في صيغة الرواية .*

الجابري : قلت لك قبل ذلك ، وتأسفت أنني لست قصاصاً ، لو أني كنت قصاصاً لكان لدي الكثير مما أقول .

ع . بلكبير : *هل يعني هذا أن استاذكم في التجربة كان هو إرادتكم من جهة ، وبالتالي اصطدامكم مع الحياة والكتاب ؟*

الجابري : لا أستطيع أن أقول إن كان لي أستاذ أو نموذج . لا أعتقد فلا الشخصيات الحية التي كنت أتعامل معها ، ولا نماذج البطل التي كُتب عنها ، لا أحد من هذا الفريق أو ذاك كان يشكل بالنسبة لي نمـوذجاً . ربما كنت مأخوذاً بالعمل وبتيارات الحياة ، أكثر من النموذج . العنصر الوحيد ، وليس الأساسي ، في تكويني هو العمل المباشر مع الكتاب . كم درست في المدرسة ؟ سنتين في الابتدائي ، وسنتين في الثانوي ، لا غير . وحتى في الجامعة ، فأنت تعرف كيف كنا ندرس . أحياناً تحضر ، وأحياناً لا تحضر . فالعمل المباشر هو الكتاب ، ولذلك أعتقد أن هذا النوع من الاعتماد على النفس والاحتكاك المباشر بالكتاب ـ وهو صعب ـ ولكنه مفيد ، هو الذي يكسب الانسان القدرة على التحمل .

م . بنيس :*في إطار المحور الأول ، هل يمكن القول ان علاقتكم بالمناهج الغربية سواء في قراءة التراث أو في قراءة مجموعة من قضايا ومظاهر الثقافة العربية الحديثة ، ابتدأت من مرحلة دراستكم الجامعية عن ابن خلدون . إذا كان كذلك ، فكيف تمت العلاقة مع الغرب ، سواء كان هذا الغرب استشراقياً أم كان بمدارسه الحديثة ؟*

الجابري : أعتقد أنك اختزلت مسافة طويلة . اعتقد أن لديّ منهجيتي ، وأنا أعزو ما يمكن أن يُقال عن منهجيتي إلى ميولي الرياضية كما ذكرت . لا زلت أذكر قولة للمهدي بن بركة جاء فيها : « إن الذي لم يمر بالمدرسة ولم يكسر رأسه في تمارين الأنابيب والصهاريج لن يستطيع ان ينظم تفكيره» ، يعني بعبارة أخرى هذه قولة أفلا طون : « من لم يكن مهندساً فلا يدخلن علينا » . الممارسة الرياضية بالنسبة إليَّ ، وبخاصة لأني مارستها لا بواسطة أستاذ ، ولكن بواسطة عمل شخصي ، كان لها تأثير كبير فيما يمكن ان يكون لدي من منهجية التفكير أو الكتابة . ولذلك ، فعندما أقرأ البنيوية أو أي مجال آخر من مجال الفكر الغربي ، أجدني عملياً أملك بنية فكرية مستعدة للتعامل . ولا شك أنك تدرك في هذا المجال أن الانسان يتكون فكره من خلال ما يقرأ . يبقى الاتصال مع الغرب . وكان بالنسبة للمغاربة مستمراً ، من خلال ما قرأناه ، سواء أكنا في مدارس رسمية أم حرة .كنا نقرأ الفرنسية ، ونقرأ شيئاً عن روسو ومونتسكيو ، ونقرأ جرائد ونسمع الاذاعة . فبحكم وضعيتنا كمستعمَرين ، وبحكم وضعيتنا كقريبين من الغرب قرباً جغرافياً ، كان هناك نوع من المواكبة ، على الأقل ، أو قابلية للمواكبة ، يعني أن الفكر الغربي كان حاضراً بالنسبة لنا، يعرض نفسه على من يطلبه ، أو أحياناً يفرض نفسه علينا ، وبكيفية خاصة عندما التحقت بالجامعة . وهذه نقطة لا بد من أن أشير إليها . التحقت بالجامعة سنة ١٩٦٧ كأستاذ . وكانت الجامعة ، كأطر ، قليلة العدد ، ولا زالت الأقسام الفرنسية والفرنسيون . وفي ذلك الوقت كنا نخوض معركة التعريب ، تعريب شعبة الفلسفة . وكان هناك تحدٍّ . وهو أنه « إذا كنتم تريدون التعريب فلتتفضلوا ودرِّسوا المواد كلها » . فأنشأنا الشعبة ، أو على الأقل وسّعنا الشعبة العربية . وفي السنة الأولى أو في السنة التالية واجهني تحدٍّ ، لست أدري هل كان مقصوداً من جانب الادارة أم غير مقصود.وجدت نفسي مطالباً بتدريس علم النفس ، علم الاجتماع ، مناهج العلوم ، الفلسفة الاسلامية ، الفلسفة الحديثة.كل هذا في سنة واحدة وفي مختلف المستويات . في سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ درَّست هذه المواد من السنة الأولى الى السنة الثالثة ، فكان ذلك بالنسبة إليّ تحدياً ، لست أدري هل كان مقصوداً أم غير مقصود . إنما واجهت هذا التحدي ، فكنت أشتغل ١٨ ساعة في اليوم لأهيء للدروس . هاتان السنتان (٦٧ و ٦٨) بهذا التوسع في المواد والتعدد في الاختصاصات كانتا بالنسبة لي اعادة تكوين ، فمعلوماتي عن الفرويدية ترجع الى تلك السنوات . دَرسْت فرويد في كتبه ودرَّسته ، ولا يمكن أن أخطيء خطأ فاحشاً في فهم الفرويدية لأني درّستها ، وأنت عندما تدرِّس شيئاً تحفظه . كذلك بالنسبة لعلم الاجتماع ، والطبقات الاجتماعية ، والماركسية .

م . بنيس : *العلاقة مع الاستشراق .*

الجابري : العمل الجامعي يتطلب الرجوع إلى مراجع ، خصوصاً في الفلسفة ، والعلوم الاجتماعية ، وهي مراجع أجنبية . وهذا الفقر في الأساتذة ، جعلنا نحن الجيل الأول ، متعددي الاختصاصات ، فدرّسنا مناهج العلوم التي كنا ندّرسها في منازلنا ، ودرسنا الفلسفة الاسلامية والتراث في فترة ومصادفة تاريخية جعلت من شخص ، أو أشخاص معينين ، منكبين في آن واحد على جانبين : التراث

والمعاصرة . كانت هذه فرصة تاريخية مكنتنا من إعادة التكوين ، ولكن بانفتاح فكري ، في وقت ظهرت فيه بأوروبا مسألة المنهجية ، الحديث عن العلم ، البنيوية ، الابستمولوجيا ، فكان هذا طارئاً ، مصادفة ، لست أدري كيف يفسر . في عملية ديناميكية تاريخية في ذات الانسان ، كما يحدث في المجتمع ، أصبحت هكذا ذات يوم أطرح على نفسي : كيف نتعامل مع التراث ؟ لقد مارس إنساننا تدريس مناهج العلوم ، مارس تدريس الابستمولوجيا ، انفتح على هذا العالم ، فبكيفية آلية أصبح ينفتح على التراث أو على المقروءات من التراث ، وبعد ذلك يأتي الوعي ويأتي التخطيط والتفكير . **بالنسبة للاستشراق ، هذه المرحلة أغنتني عن التأثر بالمستشرقين . وجعلتني في غنى عنهم ، تجاوزتهم دون أن أتأثر بهم** . عندما انفتحت على المنهجية العلمية الحديثة ، عن طريق الابستمولوجيا وميولي الرياضية ، وانفتحت على التراث ، في هذا الوقت المكثف وجدت نفسي في غير حاجة للتأثر بالمستشرقين ، بل شعرت بتجاوزهم ، أو شعرت بأن إشكاليتهم ليست هي إشكاليتي ، أو أن وجهة نظرهم مجرد وجهة نظر . بعبارة أخرى **لم أكن أشعر في يوم من الأيام أن المستشرقين بالنسبة لي أساتذة ولا تأثرت بأحد منهم** .

المسناوي : *هذا السؤال كنت أود طرحه من قبل ، ويتعلق باختيار الفلسفة أثناء ذهابكم إلى سوريا ، وحيث وجدتم المشكل الذي تحدثتم عنه ، المتعلق بالرياضيات ، فكان اختياركم للفلسفة وهذه الفلسفة التي تعرفتم عليها آنذاك ، لم تكن مجرد معلومات ، ولكن لربما كانت هناك اتجاهات فلسفية سائدة في ذلك الوقت ، أو اتجاه فلسفي معين ، أو مدرسة فلسفية في سوريا ، هل يمكن أن نعرف ؟*

الجابري ـ في ذلك الوقت كان الصراع في سوريا بين الماركسية كماركسية ، كدروس ، كاتجاه ثقافي ، وبين الاخوان المسلمين أو الاتجاه الإسلامي . بالنسبة إليّ هذا الإنشطار لم يكن يصدمني ، لأنني تعاملت مع الجانبين في المغرب قبل أن أذهب . مثلا كنت أقرأ خالد محمد خالد ، كما كنت أقرأ سلامة موسى ، **كلاهما بالنسبة إليّ شيء واحد** ، بمعنى أننا هنا في المغرب ، وهذه ملاحظة سبق أن سجلتها ، **كنا نقرأ ما يأتي من المشرق في منطوقه البريء** ، فإذا كان سلامة موسى يدعو الى النهضة فنحن نعتبره رائد النهضة ، وإذاك كان محمد عبده يدعو إلى النهضة فهو رائد النهضة . **فالخلفيات لم تكن موجودة** . فالاتجاه الإسلامي في سوريا اتجاه متفتح . الاخوان المسلمون كحزب هنا ، كانوا متفتحين ، داخلين في الحياة العامة ، في البرلمان ، لهم أساتذة في الجامعة ، لهم كتب . وهم عروبيون . إخوان مسلمون ولكن يتبنون القضية العربية ، فظهروا في الاطار السوري الأكبر : الذي هوالاهتمام بالعروبة . وطغيان التيار القومي ، والتيار الماركسي ، آنذاك ، جعلم يليّنون من لهجتهم .

المسناوي : *سؤال آخر ، متعلق بالفترة المتراوحة بين إغلاق الجريدة وبين عملكم في الكلية سنة ١٩٦٧ . الملاحظ خلال هذه الفترة أنكم شغلتم أكثر من عمل تربوي يعني بداية انشغالكم بالتأليف التربوي ، هل هذا الانشغال كان مبنياً على إختيار واضح ومحدد من أجل المساهمة في نقل فكر علمي . . ؟*

الجابري : سبق أن قلت إنني عندما دخلت « العَلم » في سنة **١٩٥٧ دفعني المهدي بن بركة دفعا فيها** ، كان من جملة المهام التي كُلفت بها هي « صفحة المعّلم » ، فكانت صفحة ناجحة ، وكنت أكتبها تقريباً بمفردي. أيضاً عندما اجتزت امتحان الكفاءة التربوية للتعليم الابتدائي انكببت على قراءة كتب التربية ، وكتب ديوي وغيره . درسنا التربية من أولها إلى آخرها . فهذا أيضاً مجال كنت قد مارسته من قبل ولم يتغير عليّ شيء عندما عدت الى مجال التعليم .

ع . بلكبير ـ *إذا سمحتم لابد أن يكون هنالك تأثير لتجربتكم الشخصية في فكركم . سؤالي هو : أهم صفة من صفات ، (أو أهم ميزة من ميزات) تجربتكم الحياتية هي تجربة العصامية ، والتحدي أو الاستجابة للتحديات . ألا يوجد لهذه التجربة تأثير في صياغة فكركم ؟*

الجابري : أعتقد أن هذه التجربة ليست خاصة بي ، لان الظرف التاريخي الذي عاشه المغرب كان كله ظرفاً عصامياً ، وظرف تحدٍّ لأن كثيراً من الناس مارسوا العصامية ، إما في ميدان التعليم نفسه ، أو في ميدان آخر ، حتى التجار . فالجو الذي عاشه المغرب ، وتلك التحولات التي تحدثنا عنها كانت تفرض هذا النوع من العصامية ، لأن التحديات كانت مفروضة .

ع . بلكبير ـ *أنتم كمفكر ، كإنسان أنتج فكراً . . .*

الجابري ـ من الصعب أن أفسر نفسي ، المسألة سيقول فيها الآخرون رأيهم ، لا يمكن أن اتجرد عن تجربتي وأضعها هكذا في الخارج باستقلال ، وأنظر وأحكم عليها . لست أدري ماذا تريد أن اقول كل ما يمكن أن أقول هو أن أدلي بمعلومات او بانطباعات ، أمّا أن أحكم على مرحلة من مراحلي ، أو أعطي رأيي هكذا ، كناقد يمارس النقد على نفسه ، فصعب .

ع . بلكبير ـ *حتى أوضح سؤالي : إن المفكرين العرب عموماً ، والى حد كبير كانوا من مهادني الدولة ، أو المجتمع ، أو الحزب ، وبالتالي درسوا في ظروف مواتية ، باستثناء المحدثين في الشرق العربي ربما أقصد المعاصرين . في حين أنكم لم تتلقوا الرعاية ، بل بالعكس . ألم يؤثر هذا في تفكيركم ، وفي علاقتكم مع الواقع ، مع المجتمع .*

الجابري ـ الرعاية التي لقيتها هي رعاية فيها تجارب مرة ، وفيها تحديات . ففي سنة ١٩٥٣ ، لّما وقعت الأزمة المغربية ، بل قبل ذلك ، في سنة ١٩٥١ ، عندما جئت من البلد بالشهادة الابتدائية لأدرس في الدار البيضاء ، جئت مع آخرين ، من فكيك ، وكانت هناك مجموعة من بني ملاك ، **فكنا نتسكع ، نسكن في حوانيت أقاربنا ، في الليل ، وفي النهار نقرأ في الحدائق العمومية . في أيام الأحد ، في القريعة ، نغسل ثيابنا في الشارع كما يفعل الناس** . هذه الوضعية لفتت انتباه المسؤولين الحزبيين في حزب الاستقلال ، في ذلك الوقت ، لربما كنت كمدخل لهذا الانتباه ، لأنني مرضت ، واتصلت بطبيب ، وهذا الطبيب نَبَّه بعض ذوي المسؤولية الحزبية في هذا الشأن . اكترى لنا الحزب في ذلك الوقت داراً (مازالت دار بوكطاية معروفة في درب الكبير) . واتصل بمحسنة من المحسنات كانت تقدم بعض الوجبات الغذائية لأطفال المدارس ، فأدمجتنا في تلك الخيرية الصغيرة ، وكنا ستين شخصاً في غرفة واحدة ، نَنَام كما ينام الناس في السجن ، وكنا مبسوطين . ولا زلت أحمل آثار تلك الرعاية ، وكثير منا ما زال يحمل آثارها ، كمرض المصران الكبير ، من شدة ما كنا نأكل من حمص وفول في القطاع الخيري . ولكن في الحقيقة كنا نشعر بأننا ممتازون ، أي حصلنا على امتياز . فكونك تكون مع مجموعة من الطلبة في دار ، وتنامون على الحصير عشرين فرداً وتطبخ ، و تذهب إلى جمعية خيرية فتأكل فهذا امتياز حُرم منه ملايين الأطفال في المغرب ، وفي البادية . ولذلك قلت في البدء إن هناك تحولاً في المجتمع عشناه .

م . بنيس ـ *الآن تنتقل إلى محور الكاتب . علاقة الكاتب بالكتابة هي علاقة تمت العناية بها على مستوى التحليل منذ العصور القديمة إلى الآن . ولكننا في العصر الحديث ربما وجدنا طرائق لتحليل هذه العلاقة بشكل أكثر تقدماً . أريد أن أقول من هنا ، إن علاقتكم بالكتابة كانت . منذ السنوات الأولى للابتدائي ، من خلال الكتابات الذاتية التي نسميها خواطر . . .*

الجابري ـ طفولية .

م . بنيس ـ طفولية ، ثم مرحلة الكتابة في الصحافة ثم مرحلة الكتابة التربوية إلى مرحلة الكتابة الفكرية ، هل يمكن أن نعرف إلى أي حد كانت تتداخل أنماط الكتابة في كتابتكم أو في رغبتكم للكتابة ؟ بمعنى آخر هل كانت الكتابة بالنسبة إليكم مجرد تسجيل لأفكار أم تأمل في الكتابة ذاتها ؟ لا أريد هنا أن أعود إلى خصائص الكتابة الفلسفية أو الكتابة الصوفية عند العرب أو مفهوم الكتابة في العصر الحديث ، ولكن بصفة عامة كان هناك نوع من الانفصال بين الكتابة الأدبية وكتابة الفكر عند الغالبية من المفكرين والفلاسفة ، وان كان بعض المفكرين والفلاسفة ، منذ أفلاطون إلى الآن ، يهتمون بالجانب الأدبي ، يعني حضور الاستعارة في الكتابة الفلسفية ، ذاتها . لهذا نريد هذه العلاقة الصامتة والسرية مع الكلمات ، والتراكيب ، والجمل المقولبة (الجاهزة) التي تكون مفروضة على الذات الكاتبة ، كيف عشتم معها ؟ هل علاقة تصالح أم علاقة صراع ؟ وما هي العناصر التي كانت مؤثرة فيها ، وبطبيعة الحال ما هي حدودها الآن كتجربة كتابية بالنسبة إليكم ؟

الجـابري ـ أعتقد أن هناك فرقاً كبيراً بين كاتب يكتب بعد أن يحقق مرحلة كبيرة من نضجه ، والكاتب الذي يصبح كاتبا بعد أن ينهي دراسته الجامعية مثلا . علاقتي مع الكتابة علاقة ممارسة . تعرفت على الكتابة ومارستها منذ البداية . ولكن يمكن أن أميز بين ثلاث مراحل بكيفية إجمالية : هناك ما سميناه بمـرحلة الكتابة الطفولية ، ولا زلت أذكر مثلاً عندما كنت في سن ١٢ ـ١٦ في الابتدائي ، وفي أوائل الثانوي ، كنت أكتب كهواية عندما انتقلت إلى الصحافة أصبحت الكتابة شيئا آخر ، يعني كتابة فكر . آخذ فكرة ، أوتُقال لك فتُحرر فيها مقالة أو افتتاحية . العلاقة مع الكتابة هنا كانت علاقة مباشرة . في الطفولة كنت آخذ قلما وأكتب من عندي خواطر ، كَلاَماً مفيداً أو غير مفيد . أما في الصحافة فهنا أيضاً آخذ الفكرة وأوسّعها . معنى ذلك أنني كنت في هاتين المرحلتين أكتب دون مراجع ، كتابة سيّالة هكذا . أما فيما بعد ، ومع العمل الجامعي ، أصبحت الكتابة شيئا آخر ، هي أن أقرأ ثم أكتب . أصبحت بحثاً ، والآن يمكن أن أقول لك إنني كنت في فترة العمل الصحافي أكتب في اليوم صفحتين ، أو اكثر ، أحررها ثم اكتبهـا في يوم . ولكي أكتب اليوم مقـالـة يجب أن أقرأ شهراً كاملاً على الأقل . هناك اختلاف في النوعية . عندما أكتب الآن فأنا أبني . إذاً يمكن أن نتكلم عن الكتابة ، بالمعنى الذي طرحته ، الآن ، أعني كتابة مفكر . التفكير ، والكتابة في هذه المرحلة تصبح تفكيكاً وإعادة بناء ، نقرأ ثم نكتب ، طبعا نقرأ التاريخ كأحداث او نقرأ النص بالنحو ذاته فلكي أكتب عن نص ، أو عن موضوع ، أو عن الثقافة المغربية ، يلزمني أن أفكك ثم أربط وأعيد البناء . ليس من السهل أن يميز الانسان في عملية كهذه بين المسطرة بها يقيس الجدار ، وبين القادومة التي يكسر بها الحجر ، وبين الطين ، وبين الإسمنت ، من الصعب التمييز ما بين هذه الأشياء . نحن نميز في البناء المجسم ولكن في العمل الفكري تكون المسائل متداخلة ، والكتابة الجيدة غالباً ما تكون نتيجة إعادة مئات المرات لقراءة للموضوع الواحد . أقول مئات المرات وليس مرة واحدة ، لأن الأشياء مترابطة ، خصوصاً في تجربتي كمهتم بالتراث ، وبالكتابة في التراث أو بشؤون الفكر بصفة عامة . كل مرة تكتشف علاقة أخرى . العالم كله عبارة عن وشائج مترابطة . لربما تكتشف ، ذات مرة شجرة فقط ، وقد تخفي الشجرةُ الغابة ، فلكي تكتشف الغابة كلها يجب أن تكتشف كل شجرة على حدة ، وإذا اكتشفت الغابة كلها كأشجار متعددة وكثيرة ، فعملية الكتابة تصير صياغة شجرة واحدة من هذه الغابة كلها . إذاً العملية هي أعقد مما يُتصور ، أو على الأقل أعقد مما أستطيع أن

أعبرعنه .ولكل موضوع ممارسة خاصة . لا وجود لقانون خاص للكتابة وما يهم بالنسبة إلي هو المضمون ، وإذا همني النص أو الشكل فمن أجل ما يحمله من مضمون ، . ومن أجل ما يعكسه من مضمون ، أو من أجل التحامه بالمضمون . أما الكتابة في الكتابة ، فلست من هؤلاء .

ع . بلكبير *في السياق نفسه : من الملاحظ أنه نادراً ما نجد مفكراً ، وبخاصّة في الوطن العربي الحديث ، لا يهتم سواء نقدياً أم بالنقد عن طريق الممارسة ، أي الابداع ـ بالجانب الأدبي والفني . فكل مفكر تقريباً له إسهام في مرحلة من مراحل تجربتة الفكرية في الأدب ، أو الفن ، أو في كليهما ، أو في النقد الأدبي ، والفني ، الملاحظ ان الأستاذ الجابري له اهتمام كبير بميدان الفكر ، وأيضا بمجالات أخرى ، ولكن في ميدان الأدب ليس هناك عطاء .*

الجابري : لست أدري لربما هذا راجع لإهتمامات الإنسان ، أو على الأقل إلى ما يجد نفسه فيه منخرطاً .إن مشروع « نقد العقل العربي » كما سيظهر ، خاصة في الجزء الأول والجزء الثاني ، لا يعتمد فقط على الفلسفة ، بل ربما سيفُاجأ الناس عندما سيجدون فيه تحليلاً للأدب والكتابات الفقهية والشعر . ولكن تحليلي لا كأديب ، بل كمفكر . فهذا الإتجاه هو الذي اخترته . مثلاً ، اليوم وأمس ، كنت مشغولاً بكتاب لسيبويه ، ولكن لم أكن أقرأ النحو كنحو كنت أريد أن اتبين كيف يفكر هذا الرجل ، كيف يبني ، كيف يعمل ، ما هي الأواليات . كذلك تعاملت مع الجاحظ . مع أبي حيان التوحيدي . مع بعض الشعراء ، مثل امرىء القيس ، والشنفرى . لأن لدي هّماً آخر ، ومشروعا آخر ، وأخشى ـ وربما هذا عيب في الدراسات النظرية ـ أن هذا الاهتمام ، أو الهم النظري ، يحرم الانسان من المتعة الفنية والأدبية . فأنا أقرأ أبا تمام والمعركة حول أبي تمام وعن التجديد لا التذاذاً بذا أو بذاك . ما يهمني هو دماغه ، هو الداخل ، هو ما يقوله . ولذلك ، فإن تلك المتعة الفنية تتلاشى .

م . المسناوي : *خارج مجال القراءة ، في المتعة ، بماذا تتمتعون أكثر؟ السينما مثلاً ؟*

الجابري : المتعة الفنية بالنسبة إلي هي متعة ذلك الرياضي عندما يحل مشكلة.إن أستاذ الرياضيات عندما يكون مشغولاً بمشكلة رياضية ، ويعيش مع تلك البنيات الرياضية ، ومع تلك الكائنات الرياضية في علاقتها بعضها مع البعض ، ثم يكتشف الحل ، فتلك هي المتعة الفنية التي لا تقاس ، كذلك بالنسبة لي عندما أعيش مع كتاب ، أو مع نص ، وأتعامل معه رياضياً . بهذا الشكل أكتشف في نهاية الأمر ، ما كنت حدسته من قبل هذه هي المتعة الفنية . مثلاً ، أمس شعرت بإحساس فني من هذا النوع عندما وجدت أن مقولة الاجتهاد كأصل فقهي ، هي سلطة مرجعية في الفكر العربي الاسلامي . أنا مؤمن بأن الاجتهاد موجود في كل مفكر ، كيفما كان أديباً ، أو شاعراً . ولديه هذا الاجتهاد كسلطة مرجعية بشكل من الأشكال . المتعة الفنية شعرت بها في هذين اليومين لما كنت أقرأ « المثل السائر » لابن الأثير ، ووجدت نصاً يقول إنه لكي يصبح كل أديب أديباً مجتهداً فعليه أن يقرأ القرآن ، ويترك شعر المحدثين ، وإذا تَملأ من القرآن والشعر الجاهلي ، ومن الحديث ، فحينئذٍ سيكون مجتهداً . فمفهوم الاجتهاد الفقهي هو هذا . أي تجتهد انطلاقاً من الأصول .

بنيس ـ *إذا ،هل تعتقدون أن علاقة المفكر بالأدب ، بالفنون التشكيلية ، بالسينما . . كما تعيشونها .والاستمتاع بها وبالتالي الاقتراب منها في جانبها الفني ، الذي هو في نهاية التحليل اقتراب فلسفي ، بالمفهوم الواسع للفلسفة ، هل تعتقدون أنها غير ضرورية ، أم أن الشخصية نفسها القارئة لهذه الأعمال تحمل من رواسب الماضي والتقليد ما يجعلها بعيدة عن الاندماج في الطريقة الأخرى للتعبير ، أو*

في الطريقة الأخرى لمقاربة القضايا الفكرية ؟

الجابري : أعتقد أن للمسألة جانبين : جانب التكوين ، وجانب الهم . فأنا كرجل اشتغل في السياسة ، وانغمر في الحياة بالشكل الذي أشرت إليه ، لم تكن لدي فرصة عيش الأشياء الجزئية في جزئياتها وفي فنيتها .تلك الخلوة ، تلك الشاعرية لم تكن لدي فرصة التمتع بها . كنت منغمساً في الحياة اليومية ، إما في « الرعاية » التي لقيناها عندما كنا ندرس ، أو في العمل الصحافي ، عندما كنا نعيش تلك الدوامة ، وأما عندما أصبحت أمارس الكتابة كمهنة ، كمشروع ، فقد كان للاهتمام دوركبير. إن كتاباتي ، أو همومي الفكرية ، منصبة أساسا على الكليات . والعمل الذي أقوم به هو عمل ينصرف إلى اكتشاف الكلي من خلال الجزئيات . الجزئي بالنسبة لي هو طريقي إلى الكلي ، وأعتقد أن الذي يكون هدفه هو هذا ، أو شغله في مرحلة من حياته هو هذا ، فإنه لا يستطيع أن يعيش الجزئي من أجل الجزئي ، لأن الفن هو أن تكتشف الكل في الجزء . أما مسائل الاختيار الشخصي فأنا لم أختر هذه الحال ، أنا فوجئت عندما وجدت عند ابنتي نظرة فنية . لم تتعلم الفن في أي موضع ، مثلها مثلي . وعاشت معي كل لحظات حياتي ، ولكن لديها رؤية فنية . طبعاً لا مجال للوراثة هنا ، أو للبيئة . إنه اهتمام . في المدرسة ترسم . ربما ليس لها همّ بالكليات ، ولا بالمسائل العامة . على كل حال أعتقد أن هذا هو التفسير : هناك التكوين الحياتي للانسان ، وهناك أيضاً الهمّ الثقافي الذي يحمله .

ع . بلكبير -*ولكن لا بد أنكم تتفقون على أن من أهم تجليات الفكر والايديولوجيا ، وبالتالي من أهم تعبيرات العقل ، هو الأدب والفن . فهل تولون العناية مثلاً لمظاهر التطور في الموسيقى (ناس الغيوان) في المغرب ، أو المعمار والفنون التشكيلية أو للقصة القصيرة الخ ، باعتبارها تجلياً لتطور العقل ، أو للفكر المغربي المعاصر ؟*

الجابري : لا . المسألة مسألة اختيار . الاهتمام خاص بالثقافة العالمة . معنى ذلك أن ما يتعلق بالفلكلور ، أو بالخرافة لا أهتم به . الانتربولوجيات ، أو ما تهتم به الانتربولوجيا ليس من ميدان اهتمامي ، اهتمامي خاص بالثقافة العالمة ، أي الابستمولوجيا ، العلوم ، التفكير العلمي ، سواء أكان في هذا الميدان أوذاك .أي كيف يفكر الانسان تفكيراً علمياً ، أو شبه علمي ، فلسفياً أو شبه فلسفي ، وليس في مقدور شخص واحد ان يقوم بعمل واسع يشمل الثقافة العالمة والثقافة الفنية والثقافة العامية . . من الصعب أن يقوم بها شخص واحد ، خصوصا إذا كان مشروع العمل يتناول مرحلة زمنية طويلة كمرحلة التراث .

ع . بلكبير : *من حيث لا تقصدون تجاوز كتابكم التربوي « دروس الفلسفة » مهمته المقصودة المعرفية والتربوية إلى وظائف أخرى ، ويمكن القول ، دون مبالغة ، ولدى بعض الناس قناعة أكيدة بذلك ، إن حركة الشبيبة في النصف الثاني من الستينيات ، لا يمكن تفسيرها إلى جانب العوامل الموضوعية الداخلية ، وأيضاً الخارجية مثل الهزيمة العربية ، والثورة الثقافية في الصين ، وأحداث أيار ١٩٦٨ لا يمكن تفسيرها دون الرجوع إلى تأثير كتاب « دروس في الفلسفة » باعتبار أن هذا الكتاب بصورة رئيسية لم يكن يقدم مادة معرفية محايدة ، بل كانت موجهة من طرف رؤية معينة لعلاقة الثقافة بالواقع ، ولوظيفة الثقافة والمعرفة ، الوظيفة الرئيسية المنوطة بها ، وهي أن تغير العالم ، لا أن تكتفي بوصفه ، قلت ربما لم تكونوا تقصدون أن تخلقوا حركة بتلك الصفة ، ولكن الذي وقع هو أن الكتاب أدى هذا الدور . كيف ترون إلى الأمر ؟ .*

الجابري - بالنسبة لي يجب أن أرجع وأقول الحقيقة كما كنا نمارسها . عندما كنا نؤلف كتاب « دروس في الفلسفة » كنا نواجه نوعين من التحدي : الأول : وهو التعريب . يجب أن نعرّب الفلسفة . والتحدي الثاني : هو أن هذا التعريب يجب ألاّ يهبط بالمادة نهائياً ، بل يجب أن نبقى في مستوى الكتاب الفرنسي ، أو أن نكون في مستواه دون استنساخه وتوجيهه التوجيه الذي يخدم قضية بلدنا . طبعا هذا هو الأفق الذي كنا نعمل فيه ، والدوافع التي كنا مدفوعين بها لم يكن في حسباننا أننا سننشيء جيلاً أو أننا سنؤطر . لا ، كانت المسألة محصورة في هذاالاطار. يجب أن نعرب خدمة للتعريب ، كقضية وطنية وضرورية ، ونبرهن للمسؤولين الذين كانوا يعادون التعريب على أنه بالإمكان التعريب ، وبالإمكان التعريب في المستوى ذاته ، وبالإمكان تحويل المستوى لخدمة القضية الوطنية والقضية التاريخية المغربية ، فهذا هو الموجه الذي وجهنا . ولا أحد يخطط للنتائج في التاريخ . هل أدى رسالته أكثر أو أقل ؟ هذا متروك للمؤرخين . أما الدوافع الحقيقية فسوف نكذب ، وسأكذب على نفسي ، إذا قلت إنني فكرت أو فكرنا نحن المؤلفين في خلق جيل . الواقع كان كما حددته .

بنيس : *ننتقل الآن إلى موقف الالتزام الثقافي ضمن العمل السياسي للأستاذ الجابري . من خلال المعلومات الجميلة والجديدة التي نتعرف عليها هو أن العلاقة الأولية بتنظيم سياسي جاءت تقريبا منذ ١٩٥١ ، من خلال حزب الاستقلال ، ثم كانت العلاقة الرمزية الثانية أثناء الحصول على الباكالوريا من خلال الاستجابة لنداء المهدي بن بركة . وبعد ذلك نعرف أن الأستاذ الجابري أصبح يلعب دوراً مهمّا في التنظيم السياسي التقدمي . نريد أن نعرف هنا جانب المثقف داخل الحزب ، كيف كان يفهمه هو ، وكيف كان يُفهم داخل الحزب أيضا . بمعنى أن الموقف من العمل السياسي كانت له بذور في البداية ، ولكن لم يعد له وزنه إلا في مرحلة النضج الثقافي والسياسي أيضاً . كيف فهمت هذا الالتزام ، وكيف تجسد من خلال العمل ثقافيا وسياسياً ، على مستوى الاختيارات العامة ، ثم على مستوى التوجيه الثقافي والصحافي للحزب أيضاً ، إذا أمكن ؟*

الجابري : في مجتمع كمجتمعنا ، حيث تشكل الأمية نسبة وافرة من الجماهير الشعبية عندما يلتحق المثقف بالعمل السياسي ، أو بمنظمة سياسية ، بصفة آلية يصبح في مركز القيادة في مجتمع غالبية أفراده من الأميين ، تكون النخبة السياسية هي ذاتها نخبة مفكرة . فالسياسي يمارس الثقافة . إذا كان السياسي محترفا لا بد أن يمارس الثقافة بشكل من الاشكال ، والمثقف إذا أصبح سياسياً فلا بد أن يمارس السياسة بشكل من الأشكال . وبالتالي فالمثقف ، سواء كان إطاراً اقتصادياً ، أو تربوياً ، أو مهندساً ؛ إذا التحق بالعمل السياسي في مجتمع كمجتمعنا ، فلا بد أن يجد نفسه مثقفاً عضوياً ، بالمعنى الحقيقي للكلمة . يعني يشتغل كقائد أو في مركز قيادة ، ويبلغ رسالة بكيفية مباشرة في إطار تنظيم معين من أجل هدف معين خصوصا وقد كنا حزب المعارضة . ليس هناك فرق بين السياسة والثقافة ولا بين الثقافة والعمل السياسي التنظيمي والاتصال المباشر . هذا مستوى عام ، يشمل جميع من ينخرط في حزب سياسي ، كالحزب الذي أنا فيه ، حزب معارض خصوصا في الستينات كما كنا وإلى الآن . يعني الثقافة سياسة والسياسة ثقافة ، في المجتمع المغربي . فالمثقف الذي لا يمارس السياسة يمارسها دون وعي . هناك مستوى آخر بطبيعة الحال ، هنا يلعب التخصص الثقافي أو الاهتمام الثقافي دوره ، فمثلاً عضوية الإطار الاقتصادي أو المهندس كمثقف لا شك فيها ، ولكن ليس مطلوباً منه أن يُنَظّر ، أن يعي وعيه ، أن يناقش وعيه للأمور.

ليس مطلوباً منه أن يبقى مثقفاً بالمعنى الضيق للكلمة . أعتقد أنه لا مفر من الاعتراف بأن السياسة والثقافة بقدر ما تمتزجان في المستوى الأول بقدر ما تتصارعان على المستوى الاعلى ، المستوى الثاني.ففي المستوى الثاني تصبح الثقافة تجاوزاً للسياسة . بمعنى أنك تمارس السياسة لا في الحاضر ، بل تمارسها في الماضي بقراءتك للماضي ، وتمارسها في المستقبل بالمشروع الذي تطمح إلى تحقيقه ، فتصبح حينئذٍ منظّراً للحزب ، أو منظّراً للمجتمع ، أو حامل مشروع ، أو مفسّراً للتاريخ ، أو فيلسوف تاريخ ، فهنا امتزجت الثقافة بالسياسة ولكن تجاوزتها . وعندما يسقط الانسان في هذا التيار ، أوفي هذا المسار ، فسيكون هذا على حساب تلك العضوية ، أي ذلك الاتصال المباشر بالتنظيمات الحزبية العمالية ، على حساب الخطابة السياسية . لا يفكر في المستمع بل يفكر في التاريخ ، في سامع صامت أكان في الماضي أم سيكون في المستقبل أم في الحاضر . أعتقد هذا هو وضعي بالاجمال .

ع . بلكبير : *من تشخيصات الوضع الثقافي في المرحلة الحاضرة في علاقته بالوضع السياسي ، أن هناك أعطاباً على الجبهة الوطنية . من هذه الأعطاب أن التعامل مع الثقافي هو تعامل لا يعي عمق العلاقة اللازمة بين الثقافي والسياسي ، التي من جملة ما تتطلب : الاستقلال . ويمكن أن نقول أيضاً بلغة أخلاقية : الاحترام المتبادل للحدود ، وبالتالي يؤدي هذا إلى تهميش ، أو ذيلية الفكر ، مقارنة بالممارسة السياسية ، وأيضاً من جملة أعطاب هذه الجبهة عدم وجود برنامج ، استراتيجية ثقافية بديلة ، كما هو موجود على صعيد الاقتصاد ، ونضال الحكم السياسي ، ومشكل الديمقراطية ، أو المسألة الاجتماعية ، وصراع الطبقات ، ومسألة الاشتراكية كبديل الخ . . هناك أيضاً من يقول : ربما يكون من أسباب الاخفاق السياسي الاخفاقُ الثقافي وبالتالي عندما يوضع سياسياً برنامج جبهة وطنية ، تطرح حول البرنامج أيضاً إمكانية عمل جبهوي على الصعيد الثقافي ، عمل وحدوي . ولربما كانت هذه الجبهة على الصعيد الثقافي وطنياً ثم عربياً ، فاعلة في صيرورة تصحيح المسارات السياسية وتطوير تلك المسارات ، خصوصاً وأن من أهم ما يميز الوضع الثقافي لدى الطليعة الثقافية في المغرب استمرار بعض العادات التي لم يعد لها مبرر ، من جملتها نوع ما من العمل الفردي ، ونوع ما من الاهتمام بالقضايا الكبرى والإنشغال عن القضايا الثقافية اليومية الملموسة ، وتركها لرجل السياسة . في حين أن هناك قضايا وطنية ، ذات طبيعة ثقافية ، ولا يمكن أن يتناولها في شروط مقبولة إلا المفكر ، المثقف البعيد عن المزايدة السياسية ، والبعيد عن حتى عقلية التكتيك ، وربما حتى الديماغوجية السياسية ، مثل مشكل التعريب ، مثل مشكل الامازيغية ، مثل مشكل آفاق الحضارة المغربية العربية . . . الشيء الذي يتطلب ربما تأسيس مؤسسة ما ، ليكون للمثقفين فيها سلطة جماعية ، ولكنها سلطة مقبولة طوعياً من طرف بقية الهيئات الوطنية ، خصوصاً وأن مثقفينا المسؤولين والمفكرين ، أي قادة الفكر ، إما أنهم يرفضون الالتحاق بالمؤسسات التي من المفروض أن تلعب الدور نفسه ، مثل الأكاديميه الملكية أو المجلس الوطني للثقافة ، أو أن المؤسسات الدستورية الأخرى المقبولة مثل المجلس الأعلى للتعليم ، ومجلس الجامعة ومجالس الكليات ، لا يُسمح بالعمل فيها . هكذا يبقى المثقف عملياً إما أن يقبل قيادة رجل السياسة له ، أو أن يعزل نفسه إطلاقاً ، ويكتفي بالتفكير في التفكير .*

الجابري : أعتقد أنه يجب أن نميز بين ثلاثة أمور : الحلف على مستوى الطبقات أو الفئات الحاكمة المسيِّرة بتحالف فيما بينها ، وهذا لا أسميه جبهة . نسميه تحالفاً للتمييز ، وهو تحالف وفي الوقت نفسه

تنافس مصالح وصراع مصالح . وهناك جبهة تكون أساساً في المعارضة ، وهناك جبهة ثقافية . إذاً هناك ثلاثة مصطلحات إجرائية فقط لكي تستطيع أن تتفاهم . **في مجتمع كالمجتمع المغربي أعتقد شخصياً أن كل تنظيم سياسي ، صغيراً كان أم كبيراً ، هو عبارة عن جبهة ، أي أنه يضم شرائح أو أفراداً ينتمون إلى طبقات لا إلى طبقة واحدة** .مثلاً مفهوم الجبهة في الغرب تطرحه طبقة عاملة ، تحدد نفسها وهويتها ، كشيء منعزل ومستقل ومنفصل وذو هوية واحدة ، تتحالف في جبهة مؤقتة لأهداف وقتية مع طبقات أخرى تاريخياً هي متصارعة معها . **هذا النوع من التمايز الطبقي في مجتمع كمجتمعنا غير موجود ، وبالتالي فكل تنظيم سياسي سواء سمى نفسه بهذا الإسم أو ذاك ، ووضع نفسه في موقع المعارضة ، سواء كان واسعاً جداً أو كان محصوراً محدوداً ، فهو عبارة عن جبهة** . حتى خمسة أفراد إذا أسسوا قيادة حزبية هم جبهة ، **لأن المجتمع المغربي ليس مجتمع الطبقات المتمايزة ، بل هو مجتمع تحوُّل ، مجتمع القفزات التي** تحدثنا عنها من قبل ، أي تحول السلطة في جميع المستويات ، ولذلك فكيفما خلطت أوراق اللعب ، ففي نهاية الأمر سيخرج لك تحالف جبهة ، إذا لم يكن التنظيم السياسي يشمل أفراداً من طبقة برجوازية كبيرة ، ومن طبقة عمالية ، ومن طبقة برجوازية صغيرة ـ هذا التصنيف على كل حال نستعمله بتجاوز كبير ـ فإذا لم يكن يشمل هذه الأطراف الثلاثة وحدها فهو يشمل أيضاً ابن البادية ، ويشمل ابن المدينة ، وابن الأعيان الذي صار سكيراً ، وأيضاً المتسبكع الذي أصبح عيناً من الأعيان . فالمجتمع كله متداخل متحول . إن كل تنظيم سياسي يقع خارج الحكم ، في مجتمع كالمجتمع المغربي ، هو في ذاته جبهة ، لا بد ، في يوم من الأيام إذا كبر واتسع ، أن تتحرك الصراعات فيه ، مثلما حدث للحركة الوطنية تماماً في أيام الحماية . جبهة وطنية كاملة فيها من جميع الجهات ، لكن العدو واحد هو الاستعمار . ثم تحركت التناقضات فيما بعد بتطور المجتمع . لماذا أقول هذا ؟ الأحزاب الموجودة بالنسبة لي في المعارضة الآن في المغرب ، إذا استعملت فيما بينها كلمة جبهة فإن في هذا الاستعمال تجاوزاً ، لأن كل حزب منها هو جبهة ، أي كل حزب منها يضم عناصر مختلفة متحالفة في جبهة ، طبقياً وتاريخياً . حتى العقليات . هناك شخص يحمل عقلية من الماضي ، وشخص يفكر هارباً إلى المستقبل ، وشخص فيما بين ، وشخص مزدوج الشخصية ، إذاً هو جبهة نفسها ، أما بالنسبة للفئات الحاكمة فهي تحالف مؤقت ، وأحياناً يُصْنع وغير موضوعي ، (يغرفُ خَرُّوب بلادنا) . أمَّا الجبهة الثقافية ، في نظري فإنها لا تُخْلَقُ كتنظيم ، لأن الميدان الثقافي لا يمكن أن يؤسس بجبهة ثقافية ، يمكن أن نؤسس جمعيات لها نشاط رياضي، ثقافي ، محاضرات . **ولكن الجبهة الثقافية تنشأ من بروز مثقفين كثيرين ، أو متعددين كأفراد ، ولكن يدخلون فيما بينهم في نقاش ، يتواصلون ، ومن خلال نقاشهم بعضهم البعض يستقطبون اهتمام المثقفين الآخرين من درجة أقل ، أو من درجة أعلى ، وتتكون هكذا جبهة ثقافية** . وتتكون انتلجنسيا تقود ، تشرعُ للمجتمع ، تفكر للمستقبل ، وقد تنظم حتى الشعب ، والجماهير في هذا الاتجاه بشكل أو بآخر . . **إذاً فالجبهة الثقافية تنشأ من العمل الثقافي ذاته وتبقى فردية** ، لأنه لا يمكن التحالف بين أفراد مثقفين . يمكن هذا طبعاً في الميادين العلمية أو في عمل المجموعات العلمية، كالفيزياء ،كالطب ، لكن ليس في الميدان النظري . الجبهة الثقافية تنشأ من خلال الحوار ، وسيادة الكتابة النقدية . الكتابة النقدية التي تعيد التفكير في الموضوع المطروح لإعادة بنائه أو إغنائه ، أو لإعطاء بديل ، أي نوع من التعاون . وهكذا تتكون الجبهة ، ويتحقق التواصل الثقافي وتتميز مع الوقت فئة مثقفة عن الباقي ، فتسمى أنتلجنسيا ، أو النخبة المثقفة التي تشرع للمجتمع ، وربما للتاريخ . إذاً المسألة فيها مستويات . أما اليسار من الجانب السياسي ، أعني قضية التحالفات فهي قضية

سياسية في نهاية الأمر ، وأعتقد أنها لعبة سياسية أي داخلة في المستوى السياسي ، ولكن إذا أردنا أن نتوسع على الجمهور الواسع ، فلا بد أننا سنجد أنفسنا في تحالف ، وأعتقد أن الاتحاد الاشتراكي نفسه هو جبهة . فإذا طالبت بجبهة فأنت تريد أن تتجابه مع جبهة أخرى .

ع . بكلير :*أنا لا أتحدث عن السياسة ، وإنما عن الثقافة .*

الجابري : الجبهة الثقافية ، كما قلت ، تنشأ عن طريق بروز اهتمام ثقافي ، واهتمام نقدي . عندما تطرح قضية يجب ألا تُستهلك فقط ، يجب ألا يكون هناك مستهلكون . وما دام هناك مستهلكون فقط ، فليست هناك جبهة . وبطبيعة الحال المستهلكون يمكن أن ينظموا تعاونية ، ولكن لا يمكن أن ينظموا جبهة .ولكن عندما يصبح المثقف في المغرب منتجاً ، فحينئذ يمكن أن تتكون جبهة ثقافية .

بنيس ـ *هذا اللقاء معكم هو حوار ، نريد من خلاله أن نفهم بعض القضايا ، حتى ولو كانت محرجة في بعض الحالات ، ولكن الهدف الأساسي هو الوصول إلى حقيقة بعض الأشياء التي تشغل هذا الجيل ، لأنها تجعله يعيش حالات نفسية متوترة . من هذا الوضع أقول ، مثلاً في مقالكم الأخير حول : « الانتلجنسيا في المغرب » المنشور في مجلة « دراسات عربية » تصلون إلى الملاحظة التي أصبحت الآن واسعة من حيث التناول في الثقافة المغربية وهي أولوية السياسي على الثقافي في العمل الوطني أيام الحماية ، وحينما طرحتُ دوركم في الحزب وفي العمل السياسي ، كنتُ أريد من خلال هذا أن أعرف إلى أي حد تغيرت هذه العلاقات في التنظيمات التقدمية بصفة عامة في مرحلة ما بعد الاستقلال ، خاصة ونحن نعلم أنها تنظيمات كلها تسعى لتغيير تصوُّرٍ وواقع . إذاً إلى أي حد تم إبدال هذه العلاقات ، لا إبدال النفي ، ولكن إبدال التفاعل والحوار من خلال الأشياء المتجسدة سواء البنية السفلى للإنتاج الثقافي ، أو الاهتمام بالبعد الثقافي لكل حركة ولكل عمل تاريخي ؟ بمعنى آخر إلى أي حد تغير الحضور الثقافي ، والهم الثقافي في برنامج القوى الوطنية بعد الاستقلال ، عما كان عليه الوضع أيام الحماية ؟ فإذا كانت لديكم قناعة ـ كما تقولون فإن هذا المقال ـ في أن الوضع مبرر ، ومفهوم ، فتركزون على الوضع التاريخي والسياسي في مواجهة الاستعمار ، فأنا أعتقد إلى جانب هذا الوضع هناك وضع آخر ، هو غياب الانتاج الثقافي أيضاً ، هذا العنصر الذي لم يقع التركيز عليه حتى الآن ، ولم يقع التفكير في مشاكله العميقة التي لا يمكن حلها فقط من خلال التأمل الآني ، أو في مرحلة تاريخية محدودة ، وإنما بتأمل تاريخي . ومن هنا فالقضية الثقافية كما طرحتموها بمستواها الثاني ، هي التي نحن بحاجة إليها في هذه المرحلة . فكيف ترون من خلال هذا الإشكال التاريخي وجودكم داخل منظمة سياسية ، هل لعبتم دوراً ثقافياً ، أو كان من الممكن أن تلعبوا هذا الدور الثقافي ؟*

الجابري : أنت تطرح مسألة هي من مهمة المؤرخ ، فالمؤرخ هو الذي من شأنه أن يبت في هذا الأمر . إنما بكيفية عامة سأكون مؤرخاً.في هذه المسألة لا بد أن يراعي الانسان علاقة الكم بالكيف . انتقلت الحماية الفرنسية إلى المغرب كدولة لها موظفوها ، ولم تحتج من المغاربة إلاّ المترجمين ، وبعض الموظفين المخزنيين ، فالمثقفون الذين كانوا يتكونون في « القرويين » ، أو في المدارس الفرنسية ، على قلة عددهم ، كانوا يجدون أنفسهم خارج الوظيفة ، خارج الإدارة . **أي كانوا يتحولون إلى أنتلجنسيا شغلهم هو التفكير ،هو المعارضة والاعتراض والتفكير في المستقبل** . وتحولوا هكذا ولو كمجموعة صغيرة .

عندما جاء الاستقلال ، كان الإستقلال عبارة عن إفراغ جهاز دولة من العناصر الفرنسية ، ومَلْئه

بالعناصر المغربية . فالإدارة امتصت الأطر المثقفة كلها ، حتى الذين هم في مستوى أدنى ، فظلت الإدارة المغربية تمتص وتستوعب وتحتوي الثقافة والمثقفين . **وكان لا بد من فترة لكي تمتلىء الادارة ، وحينئذ سيجد المثقفون أنفسهم دون أماكن شاغرة ،فيتحولون إلى مثقفين، أي يتحولون إلى شخص يفكر في وضعيته ، وفي وضعية الآخرين** . وربما من خلال التفكير في وضعيته ، وفي وضعية الآخرين ـ على نطاق العائلة ـ سيفكر للمجتمع ككل وللتاريخ وربما للبشرية . حينذاك تحول إلى مثقف بمعنى الكلمة . إذاً التحول الذي حصل هو أنه بعد الاستقلال مباشرة كان لا بد للأجيال التي دخلت التعليم بكيفية واسعة جداً ، أن تؤتي أكلها ، أو لتعي في الستينات ، لتتصادف ـ أواخر الستينات وأوائل السبعينات ـ مع أمتلاء كثير من المناصب الشاغرة ، **وتصبح ظاهرة بطالة المثقفين** ، التي خيف منها منذ ١٩٦٥ في مشروع التعليم الجديد المعروف ، والذي نُشِرَ ورُفض ، وكانت أطروحته الأساسية : أننا نخشى من بطالة المثقفين ، أي عدم قدرة الإدارة ، أو أجهزة الدولة ، أو الأجهزة الاقتصادية ، على استيعاب المثقفين واحتضانهم لكي يتحولوا إلى مثقفين موظفين ، **وعدم قدرتها جعل الظاهرة الثقافية تظهر** . وكما أن الإدارة استوعبت المثقفين ، كذلك الحزب أو الأحزاب استوعبت المثقفين كأطر للعمل ، للتنظيم . **العمل الثقافي في المغرب ، من الناحية التاريخية لم يكن من الممكن أن يظهر إلا بعد السبعينات ، يعني وجود الشروط الموضوعية ، أي عندما يُصبح المثقف يعيش ثقافته ،يعيش مشكل ثقافته ، أي مشكلة وعيه كشخص** ، أما الذي يدخل لإدارة أو لعمل أو لوظيفة فإنه ينشغل بالوظيفة ولا يعي وعيه ولا يعي مشكلته . بالنسبة للحزب ، ليست الممارسة اليومية هي الحياة التخطيطية . يمكن أن نقول أن هناك تقسيم عمل . أناس يشتغلون بالتنظيم ، وآخرون بالتنظير . هذا موجود على صعيد الأوراق ، أما الواقع فهو أن حياة الحزب كما عشناها لم تكن حياة هنيئة ولا مستقيمة ، ولا متواصلة.إنها متقطعة ومنعرجة لظروف نعرفها جميعاً . ولا أريد أن أعطي لنفسي ، ولا لغيري ، أكثر من أننا كنا وما زلنا جميعاً في سفينة واحدة ، تحركها الأمواج . أحياناً نحرك السفينة ونتجه بها هذه الجهة ، وأحياناً ترتد . أما أن ينصب الانسان نفسه أستاذاً للتاريخ ، أو يضع نفسه في موضوع مثالي أو نموذجي ، فهذه ليست نظرة موضوعية .

بنيس : *ننتقل إلى النقطة الأخيرة إذا كان ممكناً . وهي أنكم في دراستكم الأخيرة تركزون على استيعاب قوانين الخطاب العربي الحديث أو القديم ، بمعنى آخر محاولة الكشف عن نظام هذا ا لخطاب . فهناك تركيز على ما سميته بالكليات الفكرية العامة التي يتحرك فيها ، سواء المفكر ، أو الثقافة العربية ، المجتمع العربي ، ولكن جانب تحليل الممارسة الاجتماعية أو الثقافية والسياسية لم يظهر بعد في كتاباتكم فكيف تنظرون إلى العلاقة بين تحليل ما هو نظري وما هو يومي في الممارسة ، وفي العلائق المعقدة المنظمة لهذه القطاعات التي تشكل في نهاية التحليل البنية الاجتماعية ؟ وكيف يمكن أن ننظر إلى أهميتها أو ضرورتها في فهم الواقع المغربي والعربي ، . خاصة أن المراجعات التي بدأت على المستوى العربي ككل هي مراجعات لا تكتفي بمراجعة الخطاب ، ولكن إعادة النظر في الممارسات الملموسة أيضاً ؟*

الجابري : كان يمكن أن أبدأ ، أو أن ينصرف اهتمامي في أول الأمر إلى التحليل الاجتماعي أكثر من التحليل الابستمولوجي ، باعتبار انخراطي في العمل السياسي . فعلاً كانت لديّ هذه الميول ، وبدأت في التفكير في مثل هذه المواضيع ، في وقت كان الاهتمام هو هذا ، في الستينات وبداية السبعينات كان التوجه يصب في تفسير التاريخ ، تفسير المجتمع : مقولة الماركسية ، الطبقات . وفي هذه الفترة كنت

منشغلاً بمثل هذه المواضيع ، ولكن عملي كأستاذ في الجامعة وربما انفتاحي على الميدان الابستمولوجي ، والنقد المعرفي ، وجه اهتمامي إلى أن التحليل العقلي أو المعرفي ، أو الابستمولوجي بكيفية أدق ربما وجب أن يسبق التحليل الاجتماعي ، لماذا؟ **أولاً : التحليل الاجتماعي في مجتمع كمجتمعنا يتطلب أدوات جديدة ، يعني إما جديدة وإما إجرائية ، لها مفعول وفائدة وقيمة إجرائية بالنسبة للمجتمع الذي نعيش فيه** . ربما درست ما يكفي من التراث الماركسي بشكل موسع ، فكان من السهولة علي أن آتي بمقولات ماركسية ، وأفسر المجتمع المغربي أو المجتمع العربي . **ولكن عندما درست ماركس كان الذي شدّني إليه ليس ما قاله وما كان يقوله ، بل الكيفية التي كان بها يقول** . كيف حلل المجتمع الرأسمالي في القرن التاسع عشر ، كيف حلل الايديولوجية الألمانية . **ما كان يشدني ليست النتائج ، أو النظريات بل كيف يمارس التحليل** . أنا لا أدعي أنني سلكت سبيله ، فهو بدأ بنقد الإيديولوجية الألمانية وانتهى بنقد الرأسمال ، ولا أقول إنني أيضاً سأبدأ بنقد الفكر العربي وأنتهي بنقد المجتمع . أنا لا أدعي هذا الادعاء ، وما هذه إلا فكرة مقارنة طرحتها الآن . ولكن الشيء الذي لفت انتباهي أساساً هو **أن الصراع في مجتمع كمجتمعنا العربي ، أو المغربي ، ليس بالضرورة مدفوعاً بدوافع طبقية مصلحية إيديولوجية ، بل السلطات الفكرية المرجعية هي التي تتصارع فيما بينها . ليست هي الكل وإنما لها دور كبير في الصراعات الموجودة** . فالاختلافات الموجودة بين شخصين من طبقة واحدة برجوازية أو كادحة ، تكون أحياناً حادة وإذا ما بحثت عن أصولها تجد أن هذا عالمه الثقافي في شكل آخر ، وهذا عالمه الثقافي في شكل آخر . **إذاً السلطةُ المرجعية والثقافية التي تحكم وتوجه الرؤية للعالم عند هذا ليست هي الرؤية للعالم عند الآخر . و هذا الانشطار الثقافي ، وهذا التعدد في السلط المرجعية وتصادمها ينعكس في المجتمع فيكون لها دور كبير في الصراع الاجتماعي ، وبالتالي ليس الصراع الطبقي وحده هو المحرك للصراعات السياسية أو الأختلافات الايديولوجية** .

قلتُ إذاً : لنبدأ من هنا . في نظري يجب أن نبين أنه **لكي يقوم صراع إيديولوجي حقيقي يحمل هذا المعنى فلا بد أن يكون هناك حد أدنى من العقلانية** . في أوربا عندما تقرأ مثلاً عن الصراع بين كتابات ألتوسير وغارودي في وقت من الأوقات ، أو هنري لوفيفر مع آرون فأنت تجد أن آرون ، كقطب من أقطاب الرجعية في فرنسا يتعامل بالعقل . هناك حد أدنى من المعقولية ، قواعد تعامل كحد أدنى ، وبعد ذلك نختلف ، والمصالح تلعب دورها . أما هنا فهذا الحد الأدنى غير موجود لاننا لم نمر من مرحلة نقد الماضي ، ونقد الحاضر ، ونقد الفكر ، حتى نصل الى ان نكتشف أننا فعلاً نفكر بقوالب مختلفة. بعبارة اخرى تبين لي أن النقد الابستمولوجي ، تاريخياً على الاقل ، في المرحلة الراهنة ، له الاولوية ، وإلّا سنبقى كما فعلنا في الستينات . سنكرر التحليلات نفسها . مثلاً كثير من النقاد اخذوا عليّ في كتاب «الخطاب العربي المعاصر» انني لم أربط بين البنية الفوقية والبنية التحتية . كان من السهولة أن أقول أن هذا يمثل الطبقة البرجوازية وهذا يمثل ما تبقى من الاقطاع ، وهذا يمثل البرجوازية المتذبذبة ، يعني من السهولة وضع هذه التصنيفات . ولكن ماذا تفيد ؟ ماذا قدمت من جديد ؟ هذا كان سيكون حشواً . فتحليل البنية الفوقية او العقلية سيقدم لنا، فيما أعتقد وفيما أحلم ، ادوات للتواصل حتى نستطيع من خلالها ان نكيف المقولات الموجودة ، التي تتناول المجتمع ، او نكتشف مقولات أخرى . او عندما ننتبه الى التحول الذي يعرفه المغرب كما قلت : **تحول السلطة ، سلطة العلم ، سلطة التجارة ، سلطة الثقافة ، من مراكز معينة الى مجموع المجتمع ، فهذه خاصية لا يمكن ان نفسرها بالصراع الطبقي وحده ، لا بد من أدوات ،**

ومن أدوات أخرى لتحليل آخر . في آخر مقالة من كتاب « نحن والتراث » (الخلدونية) نوع من الطموح الى تحقيق نوع من التجاوز . ابن خلدون حلل الواقع المغربي او الواقع العربي بأدواته الذهنية ، بمعطياته كما هي ،طبعاً يجب أن نفعل ما فعله هو ، وأيضاً كما فعل ماركس في أروبا ، أما أن نستنسخ ابن خلدون او ماركس أو غيرهما ، فنحن في ألنهاية سنفسر جزءاً من التاريخ او جزءاً من الواقع الذي ليس هو الكل ، ولا حتى في ترابطه مع الاجزاء الاخرى . من هنا اعتقد أنه لكي يحصل نوع من التجاوز ، لا بد من فترة استراحة ننشغل فيها بشيء آخر حتى نستطيع انتاج خطاب جديد .

حاوره : عبد الصمد بلكبير ، محمد بنيس ، مصطفى المسناوي .